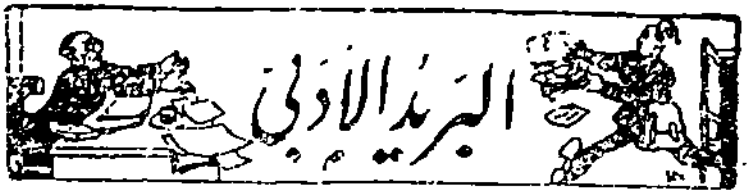

رسالة فى أدب البشرى

تلقيت عن طريق صحيفة « المصرى » الغراء كتابا من الأستاذ جمال الدين الرمادى يقول فيه إنه يعد رسالة جامعية عن المرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى للحصول على إجازة «الماجستير» ويستفسرنى عما نشرته قبل سنوات فى « الرسالة » عن شعر الشيخ البشرى الذى كان ينشره فى صحيفة (الظاهر) التى كان يصدرها المرحوم محمد أبو شادى بك

وكنت أريد أن أجيب الكاتب الفاضل برسالة خاصة لولا أنى افتقدت كتابه خلال إقامتى فى المصيف برمل الإسكندرية ، ومن ثم اتهم على عنوانه الذى طلب إلى أن أكتب إليه بوساطته

والذى سمعته من شيخنا البشرى عام ١٩٣٤ أنه كان يقول الشعر وينشره فى بعض الصحف ومنها جريدة الظاهر ، على أن ما نشره فى تلك الصحيفة لم يكن يعدو — فيما يظهر — هجاء الشيخ على يوسف صاحب المؤيد — رحمه الله — أيام قضية الزوجية المشهورة عام ١٩٠٤ ولو رجع الكاتب الفاضل إلى مجموعة الظاهر فى تلك السنة لوجد عندها الخبر اليقين . فإذا غم عليه الأمر فإنى أنصحه بالرجوع إلى الكاتب اللغوى الأستاذ محمد شوقى أمين المحرر فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فهو حجة فى أدب البشرى إذ كان يملى عليه مقالاته فى أخريات أيامه

والذى أعرفه من طبيعة الشيخ البشرى أنه لم يكن يعنى بجمع ما ينشره فى الصحف الدائرة ، ولقد عهد — رحمه الله — إلى كاتب هذه السطور وبعض إخوانه فى جمع المقالات التى احتواها فيما بعد كتابه « المختار »

وبعد ، فأحب أن أشكر للأستاذ جمال الدين الرمادى حسن ظنه بصاحب هذا القلم الضعيف ، وأرجو أن يوفقه الله لنشر أدب البشرى قبل أن يعفى عليه الزمان

منصور جاب الله

تحية طيبة

قرأت بالعدد ٩٩٣ من الرسالة الغراء بحث موضوعه « جحا القاضى » للأستاذ عطا الله ترزى باشى جاء فيه ما يأتى : —

« ولئن كان جحا ضحكة بين الناس فإنه لم يكن ساغرا أو مهانا راضيا بالذل والضيم » وجاء الشرح بالحاشية لكلمة « ضحكة » هكذا : —

« هو من يضحك على الناس ويضحك الناس عليه »

ونحن نتساءل أيريد الأستاذ الكاتب كلمة ضحكة (بفتح الحاء المهملة أم بسكونها ؟) إن كان يريد الأولى فالشرح الذى أورده على هذا فى الحاشيه خاطئ لا يستقيم وكذلك الأمر إن أراد الثانية

تقول العرب ضحكة بضم ففتح لمن يضحك على الناس . وتقول ضحكة بضم فسكون لمن يضحك عليه الناس . ويكون الأستاذ على هذا قد أتى بشرح لا يخضع تحته أحد اللفظين

قال ابن السكيت فى الإصلاح والتبريزى فى تهذيبه « إعلم أن ما جاء على فعلة بضم الفاء وفتح العين من النعوت فهو على تأويل فاعل وما جاء منه على فعلة ساكن العين فهو فى معنى المفعول » وجاء بالمقامة الثالثة والعشرين «الشعرية» للحريرى :

وإنى لأكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام . فأفتضح بين الأنام . وتحبط مكانتى عند الإمام . وأصير ضحكة بين الخاص والعام ...) أى يضحك على

محمد محمد ابراهيم

على هامش الحياة — رسالة

« وبعد » فقد حدثتنى نفسى أن أخط إليك هذه الرسالة ، وقطعت بين الإحجام والإقدام شوطا بعيداً ، وكاد يقعد بى عنها أننى كتبت إليك مثلها يوما ، فاحققت فرضاء ولا أصبت هدفا ، وواجهتنى حين التقينا بالصمت ، فلم أدر مخبوء سرك ، ولم أتكشف وقعها على نفسك ، وظللت على خطئك فى الحياة ، لا تبالى نصيحة ، ولا تحفل بتسديد ، وكاد يقعد بى عنها ثانيا أن موضوع الحديث شائك ، وقد أكون فيه متهما ، وربما وصمتنى فيه بالحيف أو التحيز ، أو ما يحلو لك أن تسميه ، ويشهد الله أن باعثه هو الشعور الأخوى الذى يوحد بينى وبينك ، فرد هذه

الرسالة إلى وإن توجهت إليك . وما إخال واحداً منا يرضى أن يحايد أخاه ، أو يقنع منه باللقاء والافتراق ، والتبسط في الحديث ، والجهد في الابتسام ، وستر الخواطر ، ولست أملك نفسي إن سلط عليك لسان أجنبي ، أو نال منك نائل حقد ممن انقطعوا دون غايتك ، وانبهروا عن اللحوق بك ، لست أملك نفسي أن أثور لك ، فأفقد أصدقائي ، وأستهدف لملام الناس وتقريعهم ، وخير لي ولك وللناس جميعا ، أن تلقى إلى سمعك ، وتبذل من وقتك بمقدار ما تنظر في هذه الرسالة ، فلعله أن تلتقط من بينها ما يضيء لك السبيل ، فتمضي حيث يمضي الناس ، لا تخلد إلى الأرض ، أو تحيا في السماء ، وإنه ليطغى على شعور بأنك ربما أزريت بي وبقلمي وبسائر منهجي ، فقد جلست مني يوما مجلسا فيه طائفة من الاتهام ، وكثير من الحيف ، وخشيت على نفسي أن أكون كما جردتني من كل محمدة ، وألصقت بي كل مذمة ، وقمت خزيان من ترادفك واطرادك ، ولا أبرئ نفسي من المساقط والمزالق ؛ فما في الحياة من برئ من الذنب ، وخلص من العيب ، ولا حملت لك في نفسي غيظا ، أو ما يشبه الغيظ ، لأنك أخي ، وما يمكن أن يريد أخي إلى إحراجي ، أو إغاظتي أو النيل مني ، أو الزراية بي ، وأنت تفهم عني هذه الحقائق سافرة واضحة ، وربما كان هذا هو الذي دعاك إلى الثورة علي بالأمس ، كما أثور أنا عليك اليوم ، ولا أحب أن أتميز عليك في خليقة ، أو أفضلك في مكرمة .. هي مسائل من هامش الحياة ، ولكنها ترمي إلى الصميم ، وقد تعدها أنت تافهة ، ولكنها في اعتباري جسيمة ، وهي لا تخصني أنا ، فمن خلق التسامح والعفو والإغضاء ، ولكنها تمس أشخاصا يمتون إلي بسبب ، وهم يدققون في مسائل الحياة ، بمالا يستوجب العتاب ، لأن ذلك منهج البشر ، وما بد من الخضوع لهذا القانون ، وقد تجنيت عليهم ، وتخدعك نفسك أن رائدك الحق ، وما سواه الباطل ، وأنا وهم وسائر الناس لا نراه إلا تمنتا وشططا ، مبعثه الخيال ، ومرده إلى الجور والتحيف .. إنها مسائل مما أراه يدنو من فهمك ، ولا تقصر عنه يدك ، ولا يعوزك أن تفهم أن سوء الظن في أقوال الناس وأفعالهم يكاد يملك عليهم أسماعهم وأبصارهم ، ويأخذ عليهم مسالك التعقل ، فلا يدع للهدوء إلى أنفسهم طريقا ، فإن رأيت ألا تضع نفسك مواضع التهمة ، وأن تعلم أن هذا المجتمع البشري ، يقتضيك أن تفهمه ، وتعقل مواجهه ، ولا تشذ عنه برأي ، أو تنعزل بفكرة ، في غير ما استهانة بكرامتك ، أو امتهان لشخصيتك ، كنت قد حققت أملي فيك ، ورأيت أني رميت إلى غاية ، وأصبت في مسعاي ، وإن تركت الثغرة تفصل بينك وبين الناس ، ورغبت عن حديثي إليك ، وبرمت بدعوتي إياك أن تجانس الناس في اتجاهاتهم ، وتتلاقى وإياهم في أفكارهم ، فتجاملهم في غير نفاق ، وتقدرهم بلا تكلف ، وتأتي إليهم الذي يأتونه إليك ، فلن تجد مجتمعا راقيا مهذبا يعينك على سلوكك ، ويفسح صدره لآرائك ، وما شد من عزمي في تحرير هذه الرسالة إليك إلا أني أعلم فيك استعداداً فطريا ، وسماحة ، وخلقا ، لا يمنعك أن تفيد من التجارب ما دامت شريفة المقصد ، نبيلة الغاية ، فاسمع يا أخي ، ولا تضق بي ، أو تمط من فمك ، أو تغضن من جبينك ، فما أريد إلا الخير . واعلم أن أحدكم يوحي إلي ، أو يعمل على ، وإنما أنا وحدي الذي أرتأيت كما رأيت ؛ أنا وحدي حتى لا أكون سببا في متاعب ذهنية ، كلانا في غنى عنها ، لأني أحبك ، وأوثر لك على سواك ، فإن تلاق رأيانا كان ذلك لي نجاحا ، وإن رأيت أني أبعدت في الفهم ، وجرت في الرأي ، فأحب شيء إلى نفسي أن تبين ما يصدق اللهجة ، ونفاذ البصيرة ، وإخلاص الدفاع ، وكل ما أهدف إليه ألا أراك موضوعا لمقالة ، أو ظنينا بجور ، وهذا ما ينبغي أن أتحدث معك في أمره ، أما سائر شأنك ، فلا أدس أنفي فيه ، لأنه سلوك شخصي قد يكون لك فيه تأويل أو مساغ ، ولا أدعي لنفسي عقلا أكبر من عقلك ، على كبر في السن ، وكثرة في التجارب ، وهأنذا صمت .. فهل تجد هذه الرسالة منك أذنا ساغية ، وقلبا واعيا ، فتسوي أمرك ، وتدنو من أفهام الناس ، لتتقي أذاهم ، وتكتفي من ظنونهم ، وإلا فأين هو السلاح الذي أشهره في الدفاع عنك ، إن تطاير من أجلك حديث ، أو أثير حولك غبار ، وسلام عليك

محمد محمد البشري

إلى الأستاذ حبيب جاماتي

قرأت كتابكم الذي صدر أخيرا في سلسلة كتب للجميع

بعنوان « أغرب ما رأيت » فعنت لى بعض خواطر أسجلها فيما يلى : —

١ — حول تجارة الرقيق :

تمنى الأستاذ جاماتى أن يكون تقدم الزمن منذ عام ١٩٣٠ قد خدم العبيد ضد النخاسين ولا أدرى لماذا لم يتتبع الأستاذ الفاضل أخبار تجارة الرقيق بعد هذا التاريخ !!

وبالأمس القريب وفى سنة ١٩٥٠ أتهم الكاتب الأمريكى لورنس جرسولد اليمن بتجارة الرقيق

فقد كتب مقالا عنوانه « ما زلت تستطيع أن تشترى جارية » وقد نشر هذا المقال فى إحدى المجلات الأمريكية ثم نشرته مجلة (وورلد) فى عدد سبتمبر سنة ١٩٥٠ وقد نقلت مجلة الفصول الغراء المقال بأمانة تامة وقدمته إلى قرائها فى أقطار الشرق العربى . فانبرى لنقد المقال الأستاذ على بن على الأنسى اليمنى وذكر أن اليمن ليس بها أسواق للرقيق (١) . ومع احترامنا لرأيه بصدد اليمن .. وللحقيقة نقول إن كثيرا من المعلومات التى وصلت إلينا تدل على أن تجارة الرقيق لم يقض عليها القضاء الأخير . ولا يسعنا إلا أن نردد المثل العربى « وعند جهينة الخبر اليقين » ولعل تقدم الزمن كفيل بالقضاء على تلك التجارة الشائنة تماما فى المستقبل القريب

٢ — حول معجزات الهند :

سألنى صديق عزيز وهو بين مصدق ومكذب عن معجزات الهند ولا سيما معجزة الحبل الهندى فقلت له : إن معجزة الحبل رآها ابن بطوطة الرحالة العربى القديم فى القرن الرابع عشر الميلادى وعاينها بنفسه بل وذكر خبرها فى كتابه عن رحلته المعروفة بتحفة النظار فى عجائب الأمصار وغرائب الأسفار

وبعد أفلا كان من الواجب أن يشير الأستاذ جاماتى ولو بكلمة واحدة إلى ابن بطوطة وما شاهده وهو فى صدد الحديث عن الموضوع نفسه

٣ — زرافة الباشا أولا :

إن من يقرأ ما كتبه الأستاذ حبيب جاماتى عن المسلة المصرية التى نقلت من الأقصر وتقوم الآن فى ميدان الكونكورد بباريس قد يظن أن العلاقات لم تتوطد بين محمد على باشا عاهل مصر الكبير وبين فرنسا إلا فى سنة ١٨٣٠ وهو التاريخ الذى أهدى فيه محمد على الكبير مسلة الأقصر إلى عاهل فرنسا لويس فليب . وللحقيقة والتاريخ أقول إن العاهل الكبير تبادل الهدايا مع ملوك فرنسا قبل سنة ١٨٣٠ وأهم هذه الهدايا التى أرسلت إلى فرنسا وكان لها صداها زرافة كانت مناط إعجاب الفرنسيين وعرفت بزرافة الباشا

فوالى عام ١٨٢٥ بسط مصر سلطانها على الجزء الجنوبى من الوادى وخضعت لها كردفان وأمر والى هذا الإقليم — من قبل عاهل مصر — وهو إذ ذاك مختار باشا الفرسان السودانيين بصيد الزراف وقد استطاع مختار باشا أن يرسل إلى محمد على الكبير وكان بالإسكندرية فى ذلك الحين زرافتين صغيرتين على قيد الحياة

وقد استطاع دروفيتى قنصل فرنسا فى مصر بوسائله الخاصة أن يحصل على إحدى هاتين الزرافتين كهدية لفرنسا من عاهل مصر لتكون تحت تصرف علماء متحف التاريخ الطبيعى بباريس . وقد وصلت هذه الزرافة إلى فرنسا سنة ١٨٢٧ وكانت مناط إعجاب الفرنسيين بل وتركت أثرا كبيرا فى الأدب الفرنسى فى ذلك الوقت ...

هذا وقد استفاض مسيو جبريل داردو (مدير وكالة الأنباء الفرنسية بالقاهرة الآن) فى الكلام عن رحلة زرافة الباشا وعن أثرها فى الأدب الفرنسى ودعم بحثه القيم بالوثائق والأسانيد، ويقع هذا البحث فى اثنتين وسبعين صفحة من القطع الكبير، وقد نشر هذا البحث فى عدد يناير سنة ١٩٥١ من مجلة

Revue des Conferences francaises en orient

وهى المجلة التى أخذت على عاتقها ذكر وبيان شتى العلاقات التى تربط بين فرنسا والشرق وبخاصة بين فرنسا ومصر

ومن الأشياء التى أهديت إلى فرنسا كذلك عقب هذه الزرافة المعروفة بزرافة الباشا الزرياف أو دائرة البروج التى كانت بمعبد دندره .. وأخيرا تأتى مسلة الأقصر التى أهديت سنة ١٨٣٠

شفيق أحمد عبد القادر

(١) أنظر مجلة الفصول عدد نوفمبر سنة ١٩٥٠